جاد الحاج عن روايته الأولى بالإنكليزية "الهجرة الأخيرة":

شئت أسلوباً مختلفاً عن الشرقيّ المليء بالانفعالات

اغتراب وترحال، لقاء وحب وموت، ولادة جديدة وأمل جديد، رواية جاد الحاج "الهجرة الأخيرة" الصادرة حديثاً بالانكليزية في منشورات الدار الاوسترالية "باناش". انها قصة الصدفة التي تستحيل تحولاً في حياة انسان. من لقاء عابر لا يتقيد بزمن، الى علاقة ظلت تنسج خيوطها الى ما بعد الموت، آسرة، موجعة، معششة في كل حاسة ومسام.

جاد الحاج الشاعر والصحافي والقصصي سيّر قلمه في الاتجاه المعاكس، كاتباً روايته باللغة الانكليزية تحت عنوان The Last Migration، علامة فارقة عن الأقلام الفرنكوفونية الوفيرة في الانتاجات الادبية. من اليسار الى اليمين كتب بلغة الغربة والأوطان البديلة وسككها المسرعة على إيقاع الحاضر.

• هل ستكون روايتك هذه بالانكليزية فاتحة ادب انكلوفوني لم ير النور بعد في لبنان؟

– لست أول من كتب بهذه اللغة بين الكتاب اللبنانيين. ففي اميركا الكاتب ربيع علم الدين، وفي اوستراليا لبنى هيكل. لكن لعلّي الأول بين الكتّاب المقيمين، بعدما كتبت باللغة الأم طوال خمسة وثلاثين عاماً.

• اللغة تكتسب على مقاعد الدراسة، كيف كان ارتباطك بها؟

– جئت الى اللغة الانكليزية بالاكتساب والعشرة، تربيتي في الاساس عربية – فرنسية. ثمة في الانكليزية عبارة Rubbing Shoolder، أي حف الاكتاف وما يسع العشرة الطويلة ان تنجزه. امضيت عشرين سنة في بريطانيا واوستراليا مع ما تتطلبه المهنة من توجه وتفرضه علينا من معلومات ومن اخبار وترجمات وحوارات تلفزيونية. وبعد فترة وجدت نفسي تلقائياً أكتب وافكر في الانكليزية فالعمل بهذه اللغة اضحى يومياً، وشيئاً فشيئاً دخلت سلوكي اليومي.

• من الواجبات اليومية الى الكتابة الادبية، أليس هناك مسافة تحول دون ذلك؟

– لم أراهن على اللغة الانكليزية كورقة رابحة لعملي. جاءت إلي بالاكتساب اليومي ولازمتني. عامل الصدفة لعب دوراً في مساري الانكلوفوني. اذكر ان ابنتي لورا التي لم يتسن لها ان تتعلم اللغة العربية أعربت لي دوماً عن اسفها لعدم تمكنها من قراءة مؤلفاتي. ذات يوم، وكنا عائدين بالقطار من نيوكاستل الى سيدني، طلبت إلي شيئاً تستطيع قراءته. كتبت لها قصة بالانكليزية من صفحتين. لم أكن أدري يومذاك ان هذه القصة التي كتبتها للتسلية ولاجتياز مسافة سفر مع ابنتي انها ستدخل انطولوجيا القصة القصيرة في سيدني عام ١٩٩٥.

• وكيف حصل ذلك؟

– التقيت ناشراً كان في صدد البحث عن قصاصين من الجالية العربية وبين المزاح والجد طبعت قصتي هذه وارسلتها الى الناشر وفوجئت حين وجدتها بين عشرات القصص في انطولوجيا القصة لعام ١٩٩٥، هكذا بدأ مساري مع الادب الانكلوفوني، اذ صرت أدون في مفكرتي كل فكرة ترد في بالي، الى أبيات الشعر والتأملات والانطباعات التي شكلت في مجملها مادة لا بأس بها.

• في انتظار صدفة أخرى؟

– في لانكستر البريطانية مجموعة كتّاب واكاديميين متقاعدين، انشأوا مكتباً للاهتمام بالكتّاب الحديثين، قرأت في صحيفة "الغارديان" اعلاناً عن رغبتهم في الاطلاع على مخطوطات جديدة. اتصلت بهم للتو مع اعتذاري عن لغة مكتسبة لا ازال متجدداً فيها. ورغم ذلك طلبوا إليّ نماذج عن مؤلفاتي الخجولة، ارسلت اليهم مجموعة مذكرات من عشر صفحات. اجابوني بعد أيام بانها معبّرة وقابلة لأن تصبح عملاً ادبياً ودعوني الى لانكستر. ارشاداتهم لي كانت غاية في النفع لناحية أصول كتابة النص والتعبير به. هكذا بدأت علاقتي بهم.

وعلى هدي ارشاداتهم كانت روايتي هذه وكتابات أخرى.

• البدايات كانت باللغة العربية. كيف يدرك الانسان ان قلمه اداته للتعبير؟

– كنت في السادسة عشرة حين نشرت لي "لسان الحال" قصيدتي الاولى. كنت متأثراً بفؤاد سليمان وبجبران خليل جبران. بيد ان المنحى الطبيعي الغنائي في شعر فؤاد سليمان بدا تأثيره في كتاباتي الشعرية الأولى.

• لكل شاعر يد نصيرة تكتشف موهبته. من اكتشف جاد الحاج؟

– عدلي الحاج هو من اكتشفني في

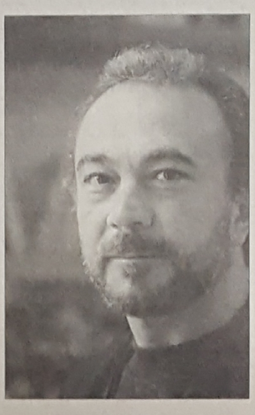

الكتابة ليست حالة نرسيسية تعكس صورة كاتبها

لم أراهن على اللغة الإنكليزية كورقة رابحة

غلاف "الهجرة الأخيرة"، منشورات "باناش" الأوسترالية.

سهرة عائلية القيت خلالها خطاباً، وكان الاستاذ عدلي قيّماً على صفحة اسبوعية في "لسان الحال". معه بدأت ومن المدرسة انتقلت فوراً الى عالم الصحافة ومن جريدة "الجديد" الى "جريدة النهار".

• ثم كانت هجرتك الاولى الى اوستراليا.

– الهجرة في معناها الحقيقي، أي أن يختار الانسان وطناً بديلاً. حصل ذلك عام ١٩٧٥ مع بداية الحرب. سبقتني والدتي واخوتي الى الهجرة الى اوستراليا بغية الاستقرار في بلد يحترم الانسان. التحقت بهم لاحقاً وظللت بين ذهاب واياب. ولازمني السفر منذ السبعينات الى حيث تناديني المهنة. واولى المحطات لي قبل اوستراليا كانت فرنسا، ثم لندن مع فريق مجلة "الدستور" لعلي بلوط. في لندن توزع عملي بين الصحافة المكتوبة والمسموعة في اذاعة "بي.بي.سي" حيث كنت مكلفاً موضوعات المسرح في القسم العربي.

• وهل اكتفيت بما جمعته لغوياً من خلال العشرة، كما قلت؟

– كلا، بل تابعت أربع حلقات دراسية في كامبردج لتعميق معرفتي بالانكليزية، فالقراءة وحدها لا تكفي.

• كيف ينقل الكاتب قلمه من اتجاه الى آخر؟ وهل روح الكتابة العربية بمؤثراتها واوصافها لازمتك في اللغة الأخرى؟

– الذهن والذاكرة، وكلاهما حبر الكتابة، لا ينفصلان. ما تعلمته هو مراقبة كتاباتي بحيث انقل عاطفتي في اسلوب مختلف عن اسلوبنا الشرقي المليء بالانفعالات، أي العمل على حركية التعبير بدلاً من شحن الكلمة بالعواطف والاوصاف الكثيرة الطنانة.

• في اللقاء الأول لأشرف بكلير في "الهجرة الأخيرة" وصف دقيق مفصّل للون شعرها وبشرتها ونظراتها المقفلة وعطرها...

– بلى، دخلت الوصف بلا توصيف. لغتي كما تلاحظين مقتصدة العبارة، مدروسة كي لا تفوق معناها. تلك هي القاعدة: الأقل من التعبير لإيصال الأكثر الى القارئ.

• وهل بت تنزعج حين تقرأ هذا الاكثار، كما تقول، في النصوص العربية؟

– الإكثار ليس شأن جميع الكتّاب. هنالك أقلام مقتصدة في تعابيرها واخرى تسترسل وتسهب كأنما تقرع اجراس ذاتها. هذا الدرس تعلمته وأمارسه في كتاباتي. الكتابة لا يجب ان تكون حالة نرسيسية تعكس صورة كاتبها. انها صناعة، شغل، حراثة، كالعمل في الأرض.

• لكن الكتابة طرب وتعيد الى الكاتب ايقاعها لتوازن بين الكلمة ورنينها.

– هذا صحيح. لكن بعد الاطراب لا بد من قراءة نقدية ذاتية للتأكد من فاعليتها في خدمة النص والقصة.

• ألا تعتقد ان اللغة العربية مغرية وتشحذ من الكاتب احاسيس جمة؟

– انها فعلاً لغة جذابة تدفع بنا الى المزيد من الكلمات، كما في وسعنا تجنبها.

• لا بد لكل مبتدئ في الكتابة من أن يتتلمذ على أحد. فهل من "معلّم" وجهك؟

– بعد الياس منصور الذي كان اول من دلني على الطريق، كانت تجربتي الكبيرة مع شوقي ابي شقرا الملك في الاختصار والجملة القصيرة. تضرب وتلمع من غير ان تترك حولها اضافات. تعلمت منه ان الجملة بقدر ما تكون مختصرة تدعو القارئ الى عالمها الواسع وتدعه يستنتج منها ما لا يقال. اما شعراً فتأثرت كثيراً بيوسف الخال. علمني ان الشعر لا يتحمل عبء الترداد. رمى في المهملات مجموعة شعرية كنت سلمته اياها. رماها امام عيني. كدت أموت. لكني صحوت كمن يولد من جديد. قسوة يوسف الخال ادركتها محبة في ما بعد. كان يردد لي: "اكتب لا لتعجب نفسك بل لتبلغ شيئاً صادقاً عن ذاتك".

• كيف تحصي انتاجك الشعري والقصصي والكل يعرف تميّزك بالبساطة؟

– لدي سبع مجموعات شعرية منها "قطار الصدفة" و"٢٦ قصيدة" و"الكتاب الثالث" و"واحد من الهواء" ورواية مستوحاة من الحرب اللبنانية "الأخضر واليابس"، الى مجموعة قصصية عنوانها "عذراء الصخور" وكتبتها في اوستراليا. وقبلها قصة "دارج" وهذه روايتي الأخيرة باللغة الانكليزية.

• هل يملي عليك البلد الذي تقيم فيه لغته؟

– بالطبع، في ما يخص المهنة، سواء أكانت في الصحافة المكتوبة ام المرئية ام سواهما. انما للتأليف عالمه الخاص خارج الأزمنة والأمكنة.

مي منسى